

من تاريخ

كلية العلوم الصحية في أبها

(١٤١٢-١٤١٨هـ/١٩٩٢-١٩٩٨م) (*)

د. خليل بن مصلح الثقيفي

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس

(الطبعة الاولى) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (الجزء

العشرون)، ص ص ٢٣٥-٢٤٢.

٦- من تاريخ كلية العلوم الصحية في أبها (١٤١٢ - ١٤١٨ هـ / ١٩٩٢ -

١٩٩٨ م). بقلم : د. خليل بن مصلاح الثقفي^(١).

عندما تم ترشيحي عميداً لكلية العلوم الصحية عام (١٤١٢ هـ)، كان هناك ثلاثة خيارات قدمت لي: إما الرياضة، أو الدمام، أو أبها. وإلى هذا اليوم لا أعرف السبب وراء اختياري مدينة أبها بعسير^(٢)، صدر القرار، وأخذت خطابه، وتوجهت إلى عاصمة السياحة (أبها) وأنا أتخيل مبنى الكلية الموجود على طرف جبل مطل على غابات جميلة متنوعة الخضرة. وصلت وأسرتي، وفي صبح اليوم التالي توجهت إلى مدير المعهد الصحي بالمنطقة ناصر بن محمد القحطاني وأبلغته أنني أصبحت عميداً لكلية العلوم الصحية بأبها، وكان وقتها بداية إجازة صيف ذلك العام، رحب بي ترحيباً لم أكن أتوقعه. طلبت منه إبلاغي بمقر الكلية، وصعقت عندما علمت أنني كلفت بورقة قرار وزاري فقط، بدون وجود مبنى، ولا موظفين، ولا حتى مقر في المعهد كبداية للكلية.

عدت إلى مقر سكني الذي أعد لي في مستشفى عسير المركزي، وكان قريب جداً من مبنى المعهد الصحي، حيث أنني ذهبت مبكراً للمعهد على أمل البدء في العمل. وتدارست الوضع مع الدكتور سعيد بن أحمد الزهراني القائد الذي كان داعماً بقوة لوضعي الحزين^(٣)، الذي قال لي أنا متأكد أنك ستحول كل ذلك النهم إلى قوة دافعة للعمل، ولا

(١) الدكتور خليل من مواليد مدينة الطائف عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، حصل على درجة البكالوريوس في علم البيئية من جامعة الملك عبدالعزيز عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ودرجة الماجستير في التخصص نفسه من جامعة مانشستر في بريطانيا عام (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، والدكتوراه في التلوث وحماية البيئية من الجامعة نفسها عام (١٤١١هـ/١٩٩١م). كلف بالعديد من الأعمال والإدارات القيادية وآخرها الرئيس العام للهيئة العامة للأرصاد وحماية البيئية (١٤٣٨-١٤٤٠هـ/٢٠١٧-٢٠١٩م). أشرف على العديد من الرسائل العلمية في مجال تخصصه، وشارك في الكثير من اللقاءات، والندوات، والمؤتمرات المحلية، والإقليمية، والعالمية. له إسهامات كثيرة في خدمة المجتمع في مناطق عسير، والغربية، والوسطى. حصل على العديد من الجوائز والتكريمات، وهو عضو في كثير من اللجان، والمؤسسات والجمعيات العلمية، والتثقيفية، والاجتماعية. مثل المملكة العربية السعودية ووزارة الصحة في عدد من المؤتمرات واللقاءات الداخلية والخارجية، شارك في عدد من وسائل الإعلام، كالتلفزيون، وبعض الصحف والمجلات. أنجز عدداً من البحوث العلمية، مثل: (١) بحث عن مدينة أبها كمدينة صحية مستقبلية في المؤتمر الخاص بالأمم المتحدة للبيئية في البحرين كمدينة صحية مستقبلية (مؤتمر المدن الصحية لدول الخليج) (٢٦-٢٨/نوفمبر/١٩٩٤م)، دبي، الإمارات العربية المتحدة، وتحت إشراف المديرية العامة للشؤون البلدية والقروية بالمنطقة الجنوبية (٢) لديه عدد من البحوث العلمية مازالت تحت الدراسة والتحليل. (ابن جريس). (٢) كان في عسير معاهد صحية للبنين والبنات منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وفي عامي (١٤١٢-١٤١٣ هـ/١٩٩٢-١٩٩٣م)، أنشئت كليات للعلوم الصحية، وكان في أبها كليتان للبنين والبنات. والكلية التي نحن بصدها في هذه الورقات خاصة بالبنين. (ابن جريس).

(٣) سعيد الزهراني حصل على الدكتوراه في علم النفس من الولايات المتحدة الأمريكية، وكان مديراً عاماً للمعاهد وكليات العلوم الصحية بوزارة الصحة أثناء نشأة وتأسيس كلية العلوم الصحية في أبها عام (١٤١٣-١٢هـ/١٩٩٣-٩٢م). (ابن جريس).

بأس خذ وقتك حتى تحصل على مبنى وتبدأ وسوف أدمك. رجعت إلى مدير المعهد بعد أن أفطرت وطلبت مكتبا واعتذر أنه لا يوجد مكتب مناسب سوى مكتبه ومكتب الوكيل، وكلاهما في إجازة، لكنه حضر ذلك اليوم لإكمال بعض المعاملات الطارئة، وسيكمل إجازته. طلبت منه منحي مكتبه فاعتذر بأدب فأزعجني أدبه، طلبت منه سكرتيرا فاعتذر مرة أخرى بسبب الإجازة الصيفية، فأحسست أنني شخص غير مرغوب به وكأنني منافس له. عندئذ تقدم شهم وبطل اسمه يحيى محمد الشهراني وقال أنا سكرتير لك يا دكتور خليل، ونظرت إلى مدير المعهد نظرة ساخطة ووافق على مضمض. ولكي نحتاج إلى استئجار مبنى للإدارة أو الكلية قد يستغرق أشهرا حسب نظام الدولة^(١).

كنت أحتاج مكتبا للبداية، فقررت كسر قفل باب الوكيل واستخدامه، وأبلغت يحيى بذلك، وأعجبته الفكرة، ونفذناها دون الحديث مع مدير المعهد وحضر غاضبا فقلت له تحت مسؤوليتي، واكتب لرئيسنا ذلك، وحصرنا ما في المكتب في محضر وقعته أنا ويحيى وأحد الحراس. بدأت الاتصالات لإيجاد مبنى بأسرع وقت، استغرقت حوالي أسبوع من البحث، ثم علمت من فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها، أن هناك مبنى تركته جامعة الإمام محمد بن سعود فرع أبها وهو مهجور، وقد يكون مناسباً مع بعض الترميمات والإصلاحات. ذهبت وشاهدت المبنى وبالفعل كان مناسباً جداً للبداية^(٢).

كان الأستاذ عبدالله بن سعيد أبو ملحة رئيس الغرفة التجارية الصناعية في أبها يملك المبنى مع سالمين بن محفوظ^(٣). توجهت إليه مباشرة دون موعد ورحب بي ترحيباً يليق بمقام ذلك الرجل المبارك، وقال المبنى لكم، ويمكنكم البدء وقتما شئتم، لكن المشكلة تكمن في الإجراءات الحكومية المطولة. توجهت لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير بعد إبلاغي بالموعد، وتشرفت بالسلام عليه، وأبلغته كل ما حصل، فدعا لي بالخير، وقال على القوة وأعانك الله، وسوف نعينك في كل ما تحتاج. قمت بالتواصل مع الدكتور سعيد الزهراني وحوّلني على مدير عام الشؤون المالية في الوزارة بعد أن تواصل معه وكان وقتها الأستاذ سليمان الشعبي، وهو بطلي الثاني^(٤). وتم استئجار المبنى في أيام معدودة، وبقي مبلغ الترميم والإصلاحات

(١) عند تأسيس أي إدارة أو مؤسسة يواجه القائمون عليها صعوبات أثناء النشأة والبناء، ومع تضافر الجهود أو العمل بإخلاص تقوم المنشأة أو المؤسسة، وتراجع العقبات. (ابن جريس).

(٢) ذلك المبنى يقع ضمن مجمع فرع جامعة الإمام في أبها على طريق الطائف، وهو أقصى عمارة في الناحية الشمالية. للمزيد عن هذه العمارة وما جاورها انظر شهادتي المدونة في القسم الرابع من كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطبعة الحمضي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (الجزء التاسع عشر). (ابن جريس).

(٣) عبدالله بن سعيد أبو ملحة من أعيان ووجهاء منطقة عسير، له جهود كبيرة في خدمة أهله وبلاده، وما زال يعيش ما بين مدينتي الرياض وأبها حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م). (ابن جريس).

(٤) الأستاذ سليمان الشعبي حصل على درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال من الولايات المتحدة الأمريكية، وكان مديراً عاماً للشؤون الإدارية والمالية في وزارة الصحة أثناء تأسيس كلية العلوم الصحية في أبها عام (١٤١٢-١٤١٣هـ/١٩٩٣-٩٢م). (ابن جريس).

وتأهيل المبنى، وهنا المشكلة الثانية، حيث كانت صلاحيات وكلاء الوزارات والمديرين العاملين لا تتجاوز خمسين ألف ريال لعجز الميزانية في ذلك العام .

ما هو الحل؟ بدأ الطلاب يعلمون عن وجود الكلية، وبدأوا يحضرون ويتصلون ولكن للأسف : (١) لم يكن هناك مبنى جاهز . (٢) لم يكن هناك أعضاء هيئة تدريس بعد وهذه معضلة أخرى . (٣) لم يكن هناك مناهج بعد . وزادت أعداد الطلاب، وزاد الضغط النفسي، وزاد التحدي على كاهلي وبدأت تفرج، عدت إلى الأستاذ عبدالله أبو ملحمة وأبلغته أننا بحاجة إلى مبلغ لترميم المبنى واصلاحات أخرى ولم يتردد الرجل العظيم فكتب في الحال شيكا بمبلغ أعتقد وقتها أنه (٢٠٠) ألف ريال دعما منه . خرجت من مكتبه وأنا في غاية السعادة، وقلت لأخي وسكرتيري الذي استمر معي حتى تركت أباها يحيى الشهراني فرجت فرجت يا أبا محمد وهذا بداية الخير .

لم نكن نستطيع تكليف مقاول لمحدودية المبلغ، وعملت أنا والأستاذ يحيى مقاولين لنستفيد من المبلغ حتى أنهينا المطلوب، لكن في نفس الوقت هناك معضلة أعضاء هيئة التدريس، وتأثير المبنى، والمختبرات، والفصول الدراسية والإدارية... إلخ، مع ضعف ميزانية الوزارة، ومحدودية صلاحيات التعميد بالشراء، ناهيك بأن القرار لا يوجد فيه صلاحيات لي بالشراء المباشر^(١) .

توكلت على الله وتوجهت إلى بعض رجال الأعمال، ولم يعينني وقتها إلا شركة الجريسي في خميس مشيط، لكنهم اشترطوا تعميديا رسميا، وأخذت تلك المسؤولية، وبدأت تعميدهم بمئات الآلاف مع أنني لا صلاحيات لي، لكنها كانت مغامرة خطيرة، وفي بالي حديث الأستاذ سليمان الشعبي بأنه سيدعمني وكان يقصد حسب النظام .

بدأ التأثيث وبدأت الأمور تتسهل، لكن مشكلة أعضاء هيئة التدريس والمنهج تؤثرني لاسيما أن الطلاب بدأوا التسجيل . اجتمعت مع مدير عام الشؤون الصحية بمنطقة عسير الدكتور/ عبدالعزيز الخزيم، وكان أحد أبطالنا الآخرين، وحيث أننا كلية طبية طلبت منه أن يسمح لي بمخاطبة مستشفيات المنطقة ومراكزها الصحية لعلنا نجد من أطبائنا أعضاء هيئة تدريس، لاسيما أن أحد الشروط أن يكون درس، أو يكون عضو هيئة تدريس في كليات طبية، وأشكر ذلك الرجل الداعم، فقد قال لي أرسل لي صورة من الخطاب لأؤكد عليه بخطاب داعم . طال الوقت ولم تصل لنا أي سيرة ذاتية بعد، وفكرت في زيارة كلية الطب بفرع جامعة الملك سعود بأبها، وقدر لي مقابلة بطل حقيقي جديد هو الدكتور محمد بن يحيى الشهري عميد الكلية، فعندما شرحت له وضعي، قال يمكن جدولة طلاب كليتنا مع كليتهم في العلوم الطبية الأساسية، وكذلك جدولة

(١) الدكتور خليل الثقفي يعد من رواد التعليم العالي في منطقة عسير، فقد بذل جهوداً طبية في نشأة وتأسيس كلية العلوم الصحية للبنين في أبها، وفي هذه الصفحات لمحات من المعاناة التي واجهها أثناء تأسيس تلك المؤسسة العلمية . (ابن جريس) .

المختبرات وبالفعل تم ذلك الإعداد . وبقي لدينا المواد الأساسية كيمياء، وفيزياء، واللغة العربية، والدراسات الإسلامية مأزق جديد!!، فكرت في كلية المعلمين حيث يوجد لديهم التخصصات، وبالفعل توجهت لعميدها الدكتور فهيد السبيعي، وكان بطلاً آخر، وفتح لي معامل العلوم الطبيعية، وكذلك جدول المواد الأخرى^(١) .

تنفست الصعداء، واقتربت بداية الفصل الدراسي الأول الأساسي، وبدأنا في تدريس طلابنا في كليات أخرى^(٢) . واشتكى مدير المعهد الصحي ما قمت به لدى الوزارة، وكذلك وكيل المعهد حيث كسرت مكتبة واستخدمته مكتب لبداية عملي، وكان رد الوزارة بتكليفي مشرفاً عاماً على جميع المعاهد الصحية للبنين والبنات بمنطقة عسير مما سهل لاحقاً الاستفادة من جميع موظفي المعهد الصحي بأبها ومديره ووكيله وتنفس الأستاذ يحيى الشهراني الصعداء وأنا معه^(٣) .

في منتصف الفصل الدراسي الأول وحتى اقتراب نهايته، انتهى المبنى، وبدأ يصل مدرسو اللغة الإنجليزية والمدرّبون الآخرون، وبدأت تتوافد علينا السير الذاتية لمن أرسلنا لهم في المستشفيات والمراكز الصحية، وكانت المفاجأة أن أعداداً منهم ذوو خبرة بالأعمال والتدريس، وما زالوا مسجلين في كليات طب في بلادهم، والعجيب أن أحدهم كان من الهند وبروفيسور مشهور في تخصص المختبرات الطبية، ويعمل في أحد المراكز الطبية في تثلث، وقررت أن أتواصل مع من تم اختيارهم من سيرهم الذاتية ومقابلتهم شخصياً . وبالفعل تم ذلك، كانت تلك الأيام يوم سعدي، فقد وجدت معظم التخصصات التي أحتاجها في البداية وبعض التخصصات الدقيقة، لكن يبقى التفكير في الدكتور عبدالعزيز الخزيم، هل سيوافق؟

علمت أن الدكتور سعيد الزهراني تربطه علاقة جيدة مع الدكتور الخزيم ومع الجميع . تواصلت معه وأبلغته ما حصل فأعجبه فكرة التواصل مع المستشفيات والمراكز الصحية، وقال فكرة مميزة، سأطلب الزملاء في كليتي الرياض والدماغ أن يفعلوا مثلك، الشاهد هنا وبعد إعجابه بذلك وهو المهم، تواصل مع الدكتور الخزيم الذي بدوره تواصل معي وقال أبشري يا د . خليل، أرسل لي أسماءهم ومستشفياتهم

(١) الدكتور فهيد السبيعي، ومحمد بن يحيى الشهري من المؤسسين الأوائل للتعليم العالي في منطقة عسير، ومعهم رواد آخرون، أمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس جهودهم وما قدموا لخدمة هذا الميدان الحضاري المهم . (ابن جريس).

(٢) تاريخ التعاون بين كليات التعليم العالي (بنين وبنات) في منطقة عسير منذ عام (١٣٩٦هـ/١٤٢٠هـ/١٩٧٦م-٢٠٠٠م) موضوع مهم يستحق أن يدرس ويوثق في دراسة علمية دقيقة . (ابن جريس).

(٣) تاريخ الصحة ومؤسساتها التعليمية في جنوب المملكة العربية السعودية في العصر الحديث والمعاصر من الموضوعات الجديدة التي تستحق الدراسة والتوثيق في دراسات علمية متقنة . (ابن جريس).

أو مراكزهم وسوف أكلفهم بالعمل معكم وبالفعل تم ذلك . انتهى الفصل الدراسي، وبدأت الفواتير تصل للكلية، وبدوري أرسلها للوزارة، وتبدأ مرحلة مؤلفة جديدة في كيفية تسديد الفواتير لمسؤول ليس لديه صلاحيات مالية بالتعميد^(١) .

كان مجلس سمو أمير المنطقة ثلاثة إلى أربعة أيام في الأسبوع نسمع من سموه في المساء، ومنتشرف بتناول طعام العشاء معه، وكنت أركز على حضور جلسة مساء الثلاثاء التي هي مخصصة لمسؤولي المنطقة، وكنت من وقت لآخر أعرض على سموه بعض ما يواجهني، وهو يدعو لي ويوجهني، وفي بعض الأحيان أتحدث معه على انفراد أمام المسؤولين، وكنت أقصد ذلك لإيهام الآخرين بعلاقتي مع سموه أمام المسؤولين حتى يدعموني عند طلبي أي أمر للكلية، وبالفعل نجحت في ذلك مع الأمير، وكان سموه مع الجميع كذلك، لكن أراد الله لي نجاح هذا الأمر^(٢) .

تأسست الكلية وعلا صوتها في المنطقة، وزادت أعداد الطلاب من عشرات في الفصل الأول إلى مئات في فصول تالية، ثم تقدم في بداية العام الثالث أكثر من ثلاثة آلاف طالب، والمسموح للقبول وقتها لا يتجاوز مائة طالب، وكنا نزيد على ذلك ما بين عشرة إلى ثلاثين في المائة . ومع نهاية السنة الثانية حدث ما لم يكن في الحسبان، وما لم نكن نعلم عنه، وهو وجود تصدعات في المبنى المستأجر، وقرر المهندسون ضرورة الإخلاء وبدأت أزمة جديدة في البحث عن موقع آخر . كنت قد سمعت أن الشؤون الصحية ترغب في إخلاء مستشفى الصدرية والحميات في لعصان لسبب يخص الصحة، فتبادر لذهني هذا المبنى، وذهبت للموقع زائراً، ووجدت إمكانية الاستفادة منه وتطويره وتحسينه وإعادة هيكلته ليكون مبنى مناسباً للكلية . توجهت للدكتور الخزيم وشرحت له الوضع، وبادر بالموافقة، أخبرني أن الموقع موبوء صحياً، وهذا أمر مزعج آخر، فوضعت خطة تطهير للمبنى، وأشرفت عليها بنفسي، ولتأكيد أهمية التطهير كنت أعيدها مرات متباعدة بعد استلام المبنى^(٣) .

(١) كوني معاصراً لنشأة وتطور مؤسسات التعليم العالي في منطقة عسير منذ البداية عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، فقد عاصرت وشاهدت وعرفت الكثير ممن عملوا في هذه المؤسسات، فقد كانوا جادين مجتهدين، وواجهوا الكثير من العقبات الإدارية أو المالية والاجتماعية، وفي نهاية المطاف تغلبوا عليها، وأسسوا صروحاً علمية عالية جيدة مازالت تؤدي رسالتها حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) . (ابن جريس) .

(٢) كان للأمير خالد الفيصل مجالس عديدة خلال الأسبوع يلتقي فيها بالكثير من شرائح المجتمع، وي طرح فيها الكثير من القضايا التي يعاني منها المسؤولون وعموم الناس، وغالباً يوجه ويدعم الأمور التي تصب في حل تلك المشاكل . وللأسف أن تلك المجالس غير موثقة، وكان من الأجدر أن توثق بالتدوين والصورة، ولو تم ذلك لحفظوا لنا الشيء الكثير من تاريخ وحضارة المجتمع العسيري خلال العقود الثلاثة من هذا القرن (١٥هـ/٢٠٢١م) . (ابن جريس) .

(٣) مازالت الأبنية المذكورة ماثلة للعيان في ناحية لعصان قريباً من منتصف طريق أبها الخميس، وكانت في السابق مخصصة للأمراض الصدرية أو مستشفى العزل أو الحجر الصحي . (ابن جريس) .

المال عصب التطوير، بدون شك، وبدأت أطلب من الوزارة دعمي، وفوجئت باحتمال أن يتم تحويلي للتحقيق بسبب تعميل شركة الجريسي، وليست لديّ صلاحيات التعميد، وتجاوزت صلاحيات وكيل الوزارة في مقدار صلاحياته التي لا أملكها، وتوجهت إلى الرياض وقابلت الدكتور سعيد الزهراني وذكرته بكلامه السابق معي، وتعهد بدعمي من خلال الأستاذ سليمان الشعيبي، وذهبنا سوياً إلى مكتب الشعيبي، وهو مدير عام الشؤون المالية والإدارة في الوزارة، وتوصلنا إلى طريقة يخرجني بها نظاماً من هذا المأزق المالي، ومن خلال معالي الوزير، وبعد مدة من الزمن تقارب العام تم تسديد الجريسي جميع حقوقه ماعدا مبلغ ستين ألف ريال، وكان يجب أن أدفعها لعدم وجود مخرج نظامي لها، وقبلت ذلك مجبراً، مع أنني لا أملك ذلك المبلغ وقتها. تواصلت مع مدير عام فرع شركة الجريسي وأخبرته بكل ما صنعت من أجل تأييد الكلية، وطلبت منه توضيح الأمر للأستاذ عبدالرحمن الجريسي لعله يقسط المبلغ أو يخصم نسبة منه وبعد أسبوع فوجئت بإعفائي من كامل المبلغ.

بدأت مرحلة إعادة تأهيل المبنى الذي تحصلنا عليه من صحة المنطقة، وقد ارتحت قليلاً من سهر الليالي من وضع الكلية، حيث كنت أعمل من الساعة صباحاً وحتى منتصف الليل، وعدت من جديد في المعاناة مع المبنى الجديد، فقد كنت أتعدى وأتعشى مع زملائي في المبنى، والعجيب الجميل أنهم جميعاً يعملون بدون خارج دوام أو أي بدلات أخرى، إنما حبا في العمل، وأنا لم أواجه في حياتي العملية حبا للعمل مثل أولئك الزملاء الأبطال حتى أننا كنا نتقاسم قيمة العشاء والغداء سوياً مع أنهم دوماً كانوا يتعبونني في الرفض وأبى ذلك. وعند نهاية السنة الأولى، اكتمل إعداد هيئة التدريس في جميع التخصصات وهي: التمريض، والتخدير، والصيدلة، والصحة العامة، والمختبرات الطبية، وصحة الفم والأسنان، ورفع عدد القبول إلى (١٥٠) طالباً. وأصبحت الكلية تشارك في الكثير من المسابقات الثقافية والاجتماعية والرياضية. وكان أعضاء هيئة التدريس والطلاب يقومون بزيارات للقري لفحص الأسنان والتوعية الصيدلانية، وقسم الصيدلة يمد بعض المستشفيات بالكريمات والدهانات التي تحضر في مختبر القسم، وفي أول سنة وفرنا على وزارة الصحة أكثر من مليون ريال من قيمة هذه المستلزمات. وأقامت الكلية أول ملتقى علمي في هيئة مؤتمر وحضره ممثلون من جميع كليات العلوم الصحية في المملكة العربية السعودية^(١).

(١) كان لتلك الكلية التي أشرف الدكتور خليل الثقفي على تأسيسها في بداية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) دور إيجابي كبير في تدريس وتخريج كوادر صحية في تخصصات عديدة، ونجد بعض طلابها واصلوا دراساتهم العليا وأصبحوا فيما بعد أساتذة في كليات العلوم الطبية التطبيقية في جامعات الملك خالد، وجازان، ونجران، وبيشة، وفرع جامعة الملك خالد في تهامة. المصدر: هذا ما عرفته وسمعتة من خريجي تلك الكلية الذين يعملون الآن في الجامعات الأنف ذكرها.

لم يكن إنشاء الكلية في مقرين مختلفين، وفي فترة قصيرة، وفي تخصصات متعددة بالأمر السهل بتاتا، لولا تسهيل الله سبحانه وجهود ودعم زملاء الرجال الكرام، وأذكر على رأسهم السكرتير الخاص البطل يحيى بن محمد الشهراني، والدكتور حسن بن أحمد الفيومي الذي أنشأ قسم الصيدلة، وهو من الزملاء ممن تم استقطابهم من مستشفيات المنطقة، وعضو هيئة تدريسي في كلية الصيدلة بجامعة الزقازيق بمصر. والدكتور حسن بن علي خلفان الساعد الأيمن ووكيل الكلية الذي استقطبته من قسم المختبرات بمستشفى عسير المركزي، وقد أسس قسم المختبرات الطبية في الكلية، وكان ذا شخصية إدارية قوية وصارمة ومخلصة ومحبة في نفس الوقت، وتعجبت من هذا التكامل عنده. والدكتور أحمد بن عبد الله بن عامر الذي كان اليد المساعدة للوكيل، وساهم في إرساء ثقافة التعاون والمحبة في الكلية بدماثة خلقه والأسلوب الراقي في التعامل الذي تعلمت منه شخصياً أو حاولت. وهناك بطل حقيقي من أبطال نجاح كلية العلوم الصحية، وهو مدير عام الشؤون الإدارية والمالية الأستاذ علي بن موسى الخثعمي الذي أنساني متابعة هموم الكلية المالية والإدارية، وأحكم إدارتها وطورها، وكانت له إيجابيات كبيرة في التواصل مع الوزارة والقطاعات الحكومية، ولا أنسى إدارته الاحترافية الأولى، قبل تسليمها للشؤون التعليمية، للتواصل مع المستشفيات لإعدادهم لتدريب الطلاب وزيارته لهم شخصياً بحكم عمله السابق في الشؤون الصحية بمنطقة عسير^(١).

كانت المكتبة من أهم الأركان الصعبة للتأسيس كون معظم كتبها تخصصية ونادرة، ولا أنسى الجهد الذي بذله الإخصائي علي السويدي المدرب المبدع والقائد الملهم مع كوكبة من زملائه وعلى رأسهم الدكتور حسن الحداد الذين ساهموا جميعاً في الاتصال والتواصل حتى أصبحت مكتبة الكلية مقراً للتعلم الذي نفخر ونفاخر بها. ولا أنسى ذكر أحد الزملاء من مكتب العميد، الذي وجدت فيه النبوغ والذكاء الفطري في التعامل مع الحاسب الآلي، وهو الأستاذ علي جلال، فقامت على دعمه بشراء الكتب وفتح باب الدورات له وفي أقل من عام واحد استطاع عمل برامج حاسوبية خاصة بالقبول في الكلية، وكذلك الأمور المالية والإدارية، مما جعل الكلية الأولى بين كليات العلوم الصحية في المملكة، وقد قمنا ببيع البرنامج على الكليات الأخرى، وأذكر أننا أول كلية تقوم بذلك، حتى أنني في ذلك العام كلفت أن أكون نائباً لمدير عام مستشفى عرفات العام والمشرف العام على الإصحاح البيئي في عرفات، وكلفت الأخ علي جلال بعمل برنامج حاسوبي لاستقبال وتوزيع الكادر الطبي والتمريض والفني لمستشفى عرفات، وكان أول برنامج حاسوبي يتم إدخاله في الصحة في فترة الحج، وحضره شخصياً معالي وزير

(١) أشكر يا دكتور خليل أن ذكرت بعض الأعلام الذين ساهموا في نشأة وتأسيس الكلية، وكنت أفضل لو توسعت في إعطاء تفصيلات أكثر عن كل من ساهم معك في بناء تلك المؤسسة. (ابن جريس).

الصحة الأستاذ فيصل الحجيلان واطلع عليه وأمر بتعميمه على جميع مستشفيات منى ومكة للحج الذي يليه^(١).

كنت شديداً في التعامل وصارماً جداً خصوصاً في تطبيق النظام والانضباط لاسيما أن خريجي هذه الكلية سيتعاملون مع البشر، وفي الوقت نفسه كنت محباً لأبعد حد لطلابي، فأجلس معهم وأشارهم الكرة الطائرة أو الطاولة في العصر، ولعب الورق في المساء، وهكذا كان حالي وزملائي في الكلية، ولا نعود إلى منازلنا إلا آخر الليل، فهذا اللين المسائي معهم، وهم يستحقون ذلك، وهذا مما جعل رئيس قسم صحة الفم والأسنان يأتي إلى مكتبي ويطلب مني أن أكون أحد النماذج التي يقوم الطلاب بالكشف على أسناني وعمل تنظيف، وقال طالما أنت مقرب إليهم إلى هذا الحد، جميل جداً يا سعادة العميد أن تكون نموذجاً لهم، فوافقنا لسببين: أولاً ثقتي الكبيرة في طلابي، وثانياً ردة الفعل الإيجابية لهم، وكان أول طالب باشر العمل ممن كان يهابني كثيراً، وأعتقد أنها مهابة المحبة والاحترام، وإذا يده ترتجف قبل إدخال مباحض الأسنان في فمي، فقال له رئيس القسم (أنت بتهاب لي حثودينا في دهية) وطلب آخر أن يقوم عنه بالعمل تدريجياً للآخرين، وكان مبدعاً مع أن الطالب السابق الأول على الدفعة، ومن أفضلهم وهو دكتور في جامعة الملك سعود حالياً لكن اسمه لا يحضرني حالياً للأسف^(٢).

كانت ست سنوات من أجمل أيام حياتي العملية التي قضيتها في أبها، واقترب موعد الرحيل عام (١٤١٨ هـ) عندما صدر قرار تعييني عميداً لكلية العلوم الصحية في الرياض، وقد سبق وأن اخترت أبها لكن العاصمة الحبيبة تتأديني ومصرة على أن أعمل فيها، وذكرت سابقاً أنني لا أعلم سبب قبولي أن أكون عميداً لكلية العلوم الصحية بأبها بدلاً من الرياض أو الدمام^(٣).

(١) عرفت منطقة عسير العديد من المكتبات والمحاضن الثقافية والفكرية، كما ظهر فيها الكثير من الأساتذة المبدعين في مجالات معرفية وعلمية وتقنية كثيرة. ومن يتجول في جامعات الجنوب السعودي اليوم يجد الكثير من أساتذتها تلقوا تعليمهم الجامعي في حاضرة أبها وما جاورهم، وهم اليوم يقودون دفة التعليم العالي في معظم مناطق جنوب المملكة العربية السعودية، وفي مدن وحواضر أخرى في طول البلاد وعرضها. (ابن جريس).

(٢) عرفت الدكتور خليل الثقفي منذ عام (١٤٠٧/١٩٨٧م) عندما كنا ندرس لمرحلة الدكتوراه في بريطانيا، وهو على قدر كبير من الاجتهاد، والتعاون وحسن الخلق. (ابن جريس).

(٣) من يدرس الإعلام السعوديين الذين قدموا إلى عسير منذ بداية القرن (١٤/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ثم استقروا فيها لبعض الوقت، وبعضهم من الصفوف الأولى في القيادة والتخطيط والإدارة، وآخرون كانوا من أواسط الناس. وهناك أسر كثيرة تعيش اليوم في منطقة عسير، وجذورهم الرئيسية من حواضر ومدن أخرى في المملكة، لكنهم استوطنوا تهامة أو سروات منطقة عسير منذ آمد وصاروا من نسيج المجتمع العسيري. (ابن جريس).